قطرة الصمت صارت بحيرة

عنوان الكتاب : قطرة الصمت صارت بحيرة

اسم المؤلف : دانييل هوز
ترجمة وتقديم : هاشم شفيق

المراجعة اللغوية : دار الفراعنة للنشر

رقم الإيداع: 2020/4075

الترقيم الدولي : ISBN: 978-977-6780-18-7

محمول : 01006141645
تـ : 0239769176

رئيس مجلس الإدارة : إكرام عيد

المدير العام : م عادل التوتي

المدير التنفيذي : عزة إبراهيم

دانييل هوز

قطرة الصمت صارت بحيرة

ترجمة وتقديم: هاشم شفيق

قصائد مختارة

دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة

تقديم

دانييل هوز شاعر ويلزي وإنكليزي في آنٍ واحد، ولد في لندن عام 1932 لأبٍ ويلزي وأمّ إنكليزية، ساهمت نشأته المتكوِّنة من ثقافتين كبريين، في جعله موسوعة فنية وشعرية وثقافية، وذلكم ما انعكس على شعره، وتجسّد في بلورة شعر مليء بهاجس التنوع، والتفرّد، والشغف بالمعرفة.

شعره إذًا ينتمي إلى عالم واسع من التراث والفولكلور والتاريخ المتداخل في جزء منه، مع التراث الإنكليزي للمملكة المتحدة التي تضم أربعة بلدان متحدة، فويلز وشعبها ثنائي اللغة، يتكلم الويلزية والإنكليزية، فالديانة الأولى في البلاد الويلزية هي المسيحية، ذات الطابع البروتستانتي، وثانيها الديانة الإسلامية، فالشمال والغرب يتكلمان الويلش، أو الويلزية، وجذر هذه اللغة سلتي، غالي، والجنوب والشرق يتكلمان الإنكليزية، وقد يلاحظ قارئ الشاعر دانييل هوز أنّ كانت هُويته وأرومته وتحدُّره، بذلك الهارموني بين هاتين الثقافتين، والتماهي والاندغام والحلول في نسيج كليهما، ليصنع الشاعر في المحصّلة، صوته الخاص، والنبرة الغنية، والمعبأة بمَدَيات الآخر، القريب منه، وليس البعيد والقصي، والمحجوب عنه وراء التخوم والمَدَيات البعيدة.

ذلك أنّ الفوارق التي نتحدّث عنها، قد لا تجدها اليوم، لا في عالم الحياة العامة، ولا في حياة الشاعر، والفوارق هذه شبه ممحوّة، بين الثقافتين الآن، نتيجة تطوّر العلم، والوعي والتفكير، ونتيجة الحريات التي طفتْ على سطح الحياة الجديدة في العالم الأوروبي، ونتيجة التحرر الفكري، والعقلي، وطغيان مبادئ التنوير، لهذا نجد أن ذلك لا يمنع هذه البلدان المتحرّرة من سطوة بريطانيا العظمى كالشعب الويلزي، أنْ ينبذ الكولونياليات، والتفرّد بالشعوب الصغيرة والفقيرة والمجاورة، أو الحديثة ذات الثروات المادية والتاريخية والحضارية، كما هو شأن ويلز الغنية بالمعادن والثروات الطبيعية، المتجلية في كل ربوعها الخصبة، وشواطئها، وموانئها البحرية.

ينتمي الشاعر دانييل هوز إلى هذه الثقافة الإنكليزية المعاصرة، المتنوّعة، والمنفتحة، والغنية بتراثها ومكنونها الجمالي، فهو شاعر كبير، ومهتم بالتراث الويلزي وبالأخص موسيقاها ومخطوطاتها التاريخية، فلقد عمل الشاعر هوز لأكثر من ثلاثين عامًا في مكتبة ويلز الوطنية، كحافظ ومسئول ومحقق للمخطوطات، بكل ما تحتوي عليه من تاريخ، وثقافات، ومأثورات مختلفة ومتباينة، تمس الكيان الويلزي وثقافته عمومًا.

جزء من التاريخ نلمحه في بعض القصائد، وجزء لا يستهان به يظهر في شعره، غبَّ تشرُّبه للطبيعة وجمالها الأخاذ في تلك البقاع الساحرة، والمثيرة للخيال، بلده بلد الشعراء، وأرضه تسمى ب– "أرض الأغاني" وسيرته الشعرية لا تخلو من تأثّره بشاعر أيرلندا العظيم

ييتس، جائزة نوبل للآداب، وكذلك هو شأنه مع شيموس هينه، جائزة نوبل أيضًا، ومن هنا أبدى ولعه في فصول كثيرة من أشعاره، بالطبيعة الفاتنة لتلك البلاد النائمة على سُهُب خضر، وعلى هضبات من الزهور لا تحصى، بلاد جبالها مرايا خضر، حوافّها مترعة بالشلالات، والنوافير الربانية، والغابات التي تغلِّف البلاد بطولها وعرضها.

قال عنه الناقد الإنكليزي هوغو وليامز: إنه شاعر متفرّد، لا يشبه أحدًا، وشعره شعر حساسية مؤثرة وحادة، في تدابيرها الفنية ومعالجتها الصورية للحياة، قصائد لها مستوى خاص، وشكل منفصل عابر للزمن.

أما الشاعر الإنكليزي الشهير تيد هيوز وهو أحد أقرب الأصدقاء إليه فيقول: شعر دانييل هوز، شعر شامل وكامل على جميع الصعد، وبخاصة على صعيد الإيقاع الموسيقي، وعلى صعيد الحس المولع بالإيقاع الإنساني كذلك، فهو شعر يتميّز بالبساطة المستمدة من تراث الشعب الويلزي، شعر إيقاعي وغنائي، وهذه النبرة غالبًا ما تذكِّرني بنبرة ييتس الشعرية.

درس دانييل هوز في جامعة كامبردج كبرى الجامعات البريطانية، وحصل على علومه العالية في حقلي الأركيولوجي، علم الآثار، شهادة عليا إلى جانب أخرى في الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع، فضلا عن حصوله على شهادة أخرى، تختص بعلم الأرشيف من جامعة لندن، وإلى ذلك فقد برع هوز إلى جانب الشعر

الذي كان حياته كلها، بتاريخ ويلز عامة، فحصل نتيجة ذلك عام 1992 على شهادة تختص بتاريخ ويلز، تاريخها في القرون الوسطى.

كتابات دانييل هوز غير الشعرية، انصبتْ حول الماضي الحضاري لويلز التي تعرّضت للاحتلالات الرومانية، ومن ثمَّ البريطانية، وعلى مدى قرون سالفة، فهنري الثامن البريطاني ضمّها إلى بريطانيا منذ عام 1500 ميلادية، ولكنها تحرّرت، غير أنها وقعتْ مجددًا ضمن نطاق النير البريطاني، أي نطاق بريطانيا العظمى، إلى أن تحرّرت من جديد في مطلع العقد الثاني من الألفية الثانية، كالعراق بالضبط الذي تحرّر من النير البريطاني في هذا التاريخ.

وبذا نجد الشاعر منغمسًا في تاريخه القلق سابقًا، يَدْرُسُه ويُدَرِّسُ ويُعلي من شأنه في دراساته وفي ترميم مخطوطاته التاريخية.

ونتيجة لذلك الانكباب والانغماس والتبحّر، في تاريخ ويلز عامة، فقد أنجز الشاعر كتابًا مهمًا يتألف من ثلاثة أجزاء حول تاريخ ويلز الاجتماعي والثقافي والحضاري، ليكون بمثابة الهُوية المعاصرة للأجيال الويلزية الجديدة، ساندًا إياها بدعامة للمستقبل، وقد نال الشاعر على هذا الكتاب درجة دكتوراه علمية وعالمية.

في ظل هذا النتاج الإبداعي والكتابي والشعري المنطوي على ثلاثة مجلدات شعرية، أنتج أيضًا كتبًا لافتة حول الموسيقى الويلزية التي تتميز بالغنى والتفرّد والأصالة.

ينحو شعر دانييل هوز نحو الطبيعة، والأشياء والحياة بكل مناقبها وتحولاتها ومراميها الجمالية، والإنسانية، والكائناتية، وهنا يمكننا حصرها في هذه الأنساق الثلاثة.

– الطبيعة كهدف شعري.

حقًا سيجد القارئ مراسم الطبيعة كيف تتجلى في شعر دانييل هوز، وكيف تنتسج وتتعشّق كالضفيرة في معمار قصيدته، فبلاده الغنائية، تؤهله لغزو الطبيعة، والتعريش بين جنباتها كطائر، أو كشاعر فلا فرق بين الطائر والشاعر، فالشاعر أيضًا يحلِّق، ويخفق بجناحيه، وينتهب الفضاءات والأجواء، ويخترق الآفاق البعيدة، ويغزو السماوات ناقرًا زرقتها، ومغرِّدًا فوق نجمة، أو شجرة، مانحًا الحياة نغمة أخرى، وصوتًا مختلفًا، وسحنة مميّزة، سحنة شاعرية، سيماؤها الغناء والترحُّل فوق عالم غابيّ، تحتله الأشجار وتتزوّجه الأنداء، وتدمغه الأهواء، والأرياح العذبة، والأماليد الفيروزية التي تنزُّ بالرحيق، والشهد فوق أرض ثريّة بالماء.

هذا الذي أرويه هو الحقيقة بعينها، ذلك أن المرء، حين يشاهد الأرض الويلزية المعشبة على الدوام، والعسلية طوال الوقت، والندية بعمق لا يضاهى، سيغبط ساكنها، لأنه يسكن أرض الغناء:

هي ذي حقولُكَ
مجروفةٌ بالثلوجِ،
إنسَ الذهاب إلى الهضبة،

فمنظر الهلال
بدا كالمتزحلق فوق البحر،
عُدْ إلى البيت
وتدفَّأْ بأنفاسِ ماشيتك التي بصَمَتْ
خشبَ البوَّابة.

يستنزِح دانييل هوز من خزانة الطبيعة، جواهره الشعرية، ساعيًا في الوقت ذاته، إلى رسم صورته الذاتية هو بين مشاهد الطبيعة، وصورها المائجة، وهي تتدفَّق بالرؤى السيميائية، ف– "حقولك مجروحة بالثلوجِ فأنسَ الذهاب إلى الهضبة، وعد إلى البيت وتدفَّأ بأنفاس ماشيتك" تلك التي تركت دمغتها البخارية على خشب بوابة منزلك الريفي.

هنا الطبيعة تمنح الشاعر هيئات موازية له، هو الريفي والشاعر، ابن الطبيعة المدلل، الابن الحالم بالأكوان البريئة، والبكوريّات الأولى، ولنقرأ معًا ماذا يقول في قصيدة " طريدة "

"السكون تبعثرَ،
وسط متاهاتٍ
من نباتات الوزّال
وشرائحَ للصخور".

ها هي ذي الطبيعة الأخاذة، تهبه مثالها، وجوهرَها، وتمنحه الإكسير لكي يحيا في هذه المتاهة الخضراء، سارحًا، منعّمًا بالهدأة التي

تنزل عليه كملاك، وهو سادر في هذه الجنان الأرضية، يتلقى الآيات، والمزامير، والأناشيد، والعطايا السحرية من لدنّ الخليقة وكرمها الباذخ.

– شبكة الأشياء.

يتقصى الشاعر بحدسه الشعري، والفني، والجمالي، مُناخات العذوبة والنشوة، والرغاب المسفوح بين الأشياء، فهي عناصر بنائية لمعمار قصيدته المتعالية في سماء من اللغة الصافية، سماء السلاسة، والرقة، والهشاشة الكامنة في نسيج الأشياء، وشبكتها المنتسجة، تلك الملتفة ما بين الأشياء، والطبيعة، والكائنات الرخوة والشفافة، وهي بذلك لم تكن قصيدة وصف، بل قصيدة كشف، وتقدم في المجهول والغامض، ومن هنا تغمَض بعض الأبعاد في القصيدة، وهو الغموض الشفيف المحمول على موجة من الصفاء، والجلاء، والضوء المصبوب في الجهات الأخرى من القصيدة:

"ما كان الماءُ وفيرًا

ولا الخبزُ مديدًا،

إنما كانت هناك

قشورُ رغيفٍ

وقنينةُ ماء"

تبنى قصيدة " إنها ثلاثة " من مفردات الماء والخبز وقشور ورغيف، قصيدة في منتهى الصدق والعفوية والبراءة التي تطبع الشعر

غير المتكلف، الشعر المُحدِّق في الأشياء، وشبكتها الواسعة، المطلة على شغفٍ مأخوذٍ بالحياة، وتجليها في كل شيء صغير، وبسيط وغامض، وهذا لعمري هو جوهر الشعر وإكسيره الأبدي.

– جمهرة الكائنات.

للكائنات في قصيدة دانييل هيوز منزلة كبرى، تنضاف إلى الأبعاد التي سلف ذكرها، والكائنات هنا تموج في مروحة متداخلة ومتشعّبة، من العناصر الموحية، لبناء وتشييّد القصيدة الهُوْزِية إنْ صح التعبير، كائنات ترتع في جو القصيدة، وتنشد موالها وغايتها وكورسها كقوله: "غادرت الشمسُ السماءَ مرة ثانية، تجاه كورس الخبز والماء".

إذَن يعلو الكورس في قصيدة هوز ويتصاعد النشيد الثلاثي الأبعاد، في صيغته البوليفونية، عاليًا ممجدًا الكينونة والطبيعة، والكائنات، والأشياء وهي تسعى في الكون، لتكوِّن الكورال الشعري المُجسَّد في نواتها، ونواة الحياة، وهي تمرح بين كل هذ التجلي للكون، المصبوب في ساقية طويلة تموج بالكائنات، وليس لها من نهاية، ولكنها تصب في مجرى الأبدية:

" أزهار المنتور البحرية
في الجيب
وورِدُ القرنفل الأبيض
في شقِّ صخرة
في الأسفل

ثمة إكليل من الطحلب البحريِّ
وبقعة رملٍ
مغسولةٍ ونظيفة ".

يبهج عالم الشاعر دانييل هوز بصوره، ومَشاهده، ورموزه، واستعاراته المأخوذة من واقع عيني، مأخوذة من طبيعة ملموسة، ومن أشياء تسيل في الأمداء، ومن غدير متدفق بالكائنات، تلك التي تجعل الحياة قابلة على الابتسام، والعيش، والمرح، وتَقبُّل حتى المأساة القادمة منها، كونها بالآخر هي حياة، وعلينا أن نعيشها كما تبدو وتلوح، لأنّ قطرة الصمت حقًّا صارت بحيرة.

الطريدة

السكونُ تبعثرَ
وسط متاهةٍ من نباتاتِ الوزّال
وشرائحَ للصخور
بين مِزَقٍ باليةٍ
وعباءاتٍ ذاوية/
مضى العمرُ
وأنا على وقفتي،
ما زلتُ ممسكًا بطريدة هرِمة...
ذات ظهيرة طويلة،
الوجهُ إلى الحائط
والعدُّ إلى العشرين.

هلال

الشمسُ آخذةٌ في الغروب/
وظلالُ الأشجارِ بدأتْ تتحرّكُ
لكي تختفي/
هي ذي حقولكَ مجروفةٌ بالثلوجِ/
إنس الذهاب نحو قمة الهضبة/
فمنظر الهلالِ
بدا كالمتزحلقِ فوق البحر/
عُدْ إلى البيتِ
وتدفّأْ بأنفاسِ ماشيتكَ التي بَصَمَتْ
خشبَ البوّابة.

فظاظة

اعتننتْ بي امرأةٌ هادئة

لها عينان بنّيتان

وتفكيرٌ مرهق/

ذلك ما يحدثه الصوتُ

عندما تستديرُ

جانبًا وتتحرّكُ/

آتيةً بشرائح السَّلامي الذي يستدعي

دون شكّ جلجلةً

لرفّاصاتِ السرير.

إنها ثلاثة

ما كان الماءُ مديدًا
ولا الخبزُ وفيرًا/
إنما كانت هناك
قشورُ رغيفٍ
وقنينةُ ماء/
أراد أنْ يكتفي بهما
قبل أنْ يموت...
في جوهرِ المكان ذاتِه
وفي نوعيةِ الصحارى
وإذا التقيت في الوسط من ذلك/
لا تستطيع أنْ تقولَ له
غيّر الاتجاه/
رغم هذا غادرت الشمسُ
السماءَ مرّةً ثانية
تجاه كورس الخبزِ والماء.

حيثما تكون

عندما تكونُ
في المدينة مرّةً
وتشعرُ بأنك في بلدكَ،
خذ مكانكَ في المقهى
حيث أبخرةُ القهوةِ
ودخانُ السيجار يجرفُ الصّلبان،
الأصوات ستذوب في طقس دينيّ/
عندما توهن خلال المشي
ادخل الكنيسة،
واجلس وحيدًا
في نهايةِ المصطبةِ
الخشبيّةِ الطويلة،
داخل القبّةِ السماويّةِ
مُصغيًا للصمتِ/
عندما تتزحلقُ داخل الحانة

بأقداح وريقاتِ شجرِ الماهوغوني
ضعْ شرابكَ جانبًا
واغلقْ عينيك
سترى الزمنَ يترنّحُ
ويسقطُ بعيدًا/
إذا مرّ ملاكٌ
وانتوى أنْ يبنيكَ
ويُغيّر
فارفضْ
فذلك كثيرٌ/
أكثر من معْلمٍ بدا منبثقًا
وعاليًا في غابةٍ/
أعلى من غيمةٍ
في ارتعاش فجرٍ
على غدير.

أكثر من زجاج

سرعةُ القطارِ
إلى المدينةِ
إلى حيثُ تُحرقُ جثثُ الموتى/
هو قطْعٌ سريع للمَشاهِد
عبر الزجاجِ/
رغم هذا
ستمرُّ بحقولِ قشٍّ مزهرة،
ستمرُّ بطفلٍ مع حقيبةٍ مدرسية
واقفٍ في شمسِ الصباحِ
عند نهايةِ الطريق.

سلام

حين تأتي
تجد السلامَ في قلب المدينة/
مع ثلاث نساء
ورجل شاب
وثمة كوَّة عالية/
حيث آمالُ المصلين لا تحصى
وسط أعراسٍ وقداديسَ تتعانق
في صعودٍ لولبيٍّ
مثل صعودِ دخانِ سيجارةٍ
في حفلةٍ فخمةٍ
لا نهائية.

صمت

رمتْ نفسها من النافذة
ماتت/
كانت يائسة جدًّا
هناك رقدتْ لتستريحَ
وهناك قطرةُ الصمتِ
صارتْ بحيرة.

الليلة الأولى

عينٌ مفتوحةٌ في السرير
هي صورة شخص في الضريح/
في الخارجِ كانت الليلة
مليئةً بالنجومِ
ومشرقةً
وعلى حافّتها
ثمة غيماتٌ تجتازُ النافذةَ،
صانعةً بذلك تعزيةً عاجلة/
في عمقِ تلك الليلةِ الجديدة،
الكلُّ يمرُّ رافعًا يديه/
ليس ثمة كلمةٌ
لا حركةٌ
وحتى الآن
ليس هناك نشيج.

الصخرة

أزهارُ المنتورِ البحريّةِ
في الجيب/
وورِدُ القرنفلِ الأبيضِ
في شقِّ صخرةٍ/
في الأسفل ثمّة إكليلٌ
من الطحلبِ البحريِّ
وبقعةِ رملٍ مغسولةٍ ونظيفة/
تلك الأمواجُ في تراجع/

بيد أنّ الرماديَّ
وراء الأخضرِ
وراء الأزرقِ/
هناك في المفترق الذي ننادي
من خلالهِ الأفق.

تقويم الشتاء

1

الحديقة حبلى
بسياجٍ من الظلال السوداء/
بينها قمرٌ يشعّ فوق ندىً
من ورقِ اللهانة.

2

كستناءٌ صلبٌ
في مرْجٍ شاحب/
بينما رداؤها
منتسجٌ من ذهبٍ
يغطي قدميها
ويصلُ إلى الأرض.

3

حُجُراتٌ قديمة
وخُلد الهضابِ
يُشبه الصخرة/
أما الشوكُ فيبدو منعزلًا
يحنو على جوهرِ
الكريستال المتجمّد.

4

هنا غديرٌ متجمّد،

أفواهٌ،

كلماتٌ تجرّبُ صيغةً ما/

بينما الحصى

يربضُ تحت الثلج.

5

غيمٌ يتبدّى

والقمرُ يمضي أسفله/

لكنَّ زهرَ المنتورِ

لم ينمْ

لأنه سمع أنّ المطرَ

قد وصل.

6

إذًا

فالعاصفةُ الممطرةُ

قد مرَّتْ

والميازيبُ ما زالت ترتجفُ/

بينما الشحرورُ

سيبدأ في الغناء

لأنه الطوطمُ الأخير.

إيقاع الحضانة

وجدنا طاولة الطعام عارية/
والرفوفَ
وكذلك المجمّدة/
بعدها
تسللنا إلى غرفةٍ عليا
ورحنا نساعدُ
أنفسَنا بأنفسِنا.

زواج الصيف

مليونٌ
من أنصالِ الأعشابِ/
زهرةٌ مُشْبَعةٌ بالماءِ
وأربعةُ نوارسَ
تكشفُ أجنحتَها وتقوّمها
بمناقيرَ ياقوتيّة.

مجسّات

الحربُ
قد مضتْ وماتتْ
والموتى لا يحصونَ...
صواريخُ جديدةٌ قد جُرّبتْ/
الجنرالاتُ المسئولونَ
تنادوا إلى اجتماع سرّيّ/
إذ راحت ألسِنةٌ وأسنانٌ
ترسمُ رعبًا جديدًا
بسرعةٍ تامّة/
وهم سوف لن يُخبروا
أنصارَ السلامِ الذين سيكونون
خارجِ ذلك بالتأكيد/

الأيدي والأصابعُ
تشتبك حول عملِهم/
جاعلينَ من المسيحِ
كائنًا أخرقَ
ومن الشيطانِ
نبيًّا حاذقًا.

صوت

بجنونٍ/
عامًا بعد عامٍ
في الشهر ذاته
في البقعة نفسها
وبنفس الألوان
أزهارُ الأوركيد تذوي/
هي ذي القفارُ
حيث الصوتُ ينتحبُ

من أجلِ خوذِ الرجال التي تتدحرجُ

عاليًا

عاليًا

مع الأوركيدِ

الأصفرِ الذابل.

جبال الألب

1

قريةٌ من الحبِّ
تُهدِمُ نفسَها
تحت أشعة الشمس
حتى ينهارَ جليدُها الجبليُّ.

2

بحيرةٌ من الحبِّ
شهابٌ يلعقُ شفتيها.

3

نهرٌ متجمّد من الحبِّ
ووادٍ يليهِ/
يطلُّ على البحر.

فجر

ليس ثمة شمسٌ هناك/
فقط كان بصيصُ ضياءٍ
وضبابٌ يتحرّكُ
بين الأحجارِ
ينمو مرئيًّا،
وكان هناك
صمتٌ ينمو
حول أصواتٍ لا تجيبُ
مجروفةً نحو أسفل الهُوَّة/

من بينها نعيقُ غرابٍ
وخوارُ بقرةٍ
يمتزجانِ
بصراخِ التراكتور.

عيون

ثمة عينانِ واسعتانِ
يقظتانِ
وثمة سماءٌ نجميّة/
عيونٌ
وعيونٌ ترمشانِ
وثمة خدودٌ وشِفاهٌ
ويدانِ وساقانِ/

ولكنّ هنالكَ

عينينِ واسعتانِ/

لكأنهما بلا أجفانٍ/

تنقّبانِ في الأرضِ والسماء

بحثًا عن الظلام.

ريح حادة

لم يكن قشًّا لغابةٍ
ولا حصاةً لطريدة/
لم تكن هناك
لا عينانِ
ولا يدانِ/
إنما أسئلةٌ لرياحٍ حادّة/
لا جوابَ هناك/
سوى أني أحتمي بالأطفال.

دخان الغابة

عبر أثر القدم
دخلنا الغابةَ،
إلى حيثُ يكونُ المنزلُ
المطعَّمُ بالعاج
والحجر المصقولِ،
ذاك المؤدي إلى حديقةٍ
مترعةٍ بزهر الربيع الممتدّ
حتى النهرِ،
في الفِناءِ
صخورٌ ثقيلةٌ
بدتْ مثل أسرَّةٍ صلدةٍ،

الحارسُ كان يعدُّنا
حين التقينا،

يستديرُ هنا وهناكَ،
زوجته فتاة شابة،
أجلستنا
وأخذت تتحدّثُ
عن الربيع
وعن سراديب المكان الخالية،
لكأنها لم تتكلمْ
طيلة الشتاء،
ضحكتْ بلطفٍ
حين ودعناهم/

يدي ربّتتْ
على الطفلِ الذي كانت
تحمله في ذراعها،
امرأة ذاك المنزل المبتلِّ
بدخان الغابة.

هروب

عليكَ
أنْ تسيرَ
في المساءِ المضيءِ،
بقدمينِ منهكتينِ،
وأدهشنا بالمسرَّة،
اعبرْ دروبَ البستان
حيثُ شجراتِ الكرزِ
الخضراءِ المثقلةِ الحبّاتِ،
وهناك خلف الجادةِ،

مُرْ
بدكاكينِ الحلاقينِ التي تفوحُ بالعطورِ،
فالنوارُ هناكَ يورقُ
ويفورُ برغوةٍ بيضاء...

سوف لن يكونَ
هنالكَ ليلٌ،
وأنتَ تغذ الخطى
في الغابةِ،
هذي التي تبدو كأنها بيتكَ،
فثمة شجراتُ البتولا
والبلوطِ

وثمراتُ الحقيقةِ
بأوراقها المتساقطةِ
ذات العمق الداكنِ الأخضر،
هذا العمق الذي يبدو
مثل ستائرَ ممتدَّةٍ وكثيرة...
حيثُ كان عندي المزيدُ
من الطيورِ التي لا أعرفُ أسماءها.

لا شيء

ظهرَ مجدّدًا،
أبدًا
أجملَ مما مضى،
هو لم يتحرَّكْ
قيد أنملةٍ،
أكان مزوَّدًا بالرجالِ؟
لم يكن يستطيعُ
تهجّي
كلمة اضطراب البتة
عندما كان
يصنعُ الذهب،
أنظرْ
إلى يده اليسرى!

من أجل الجيد والسيئ

نام جميع الأطفال،
لقد ملأوا يومي
طَوالَ بضعة أعوامٍ،
يا لهذا الجمال النائم
يا لهذا الغياب الجميل،
لم يكونوا الوطن الذي يستطيل،
إنما كنتُ أشعرُ
أنني في وطني الذي هو
خلف البحرِ،
غرفة بعيدة
وزوجٌ يحضنُ نفسه،
فقط حين لم يذهبْ
إلى السرير...

هو ذا
ركامُ التصليحات
وبذا أشعرُ
أني وحيدة.

في الجبل

ثمة زهورٌ
تموجُ عبر عصورِ الجليد
ما زالت الذاكرة تحملها/
حين عرفتُ
تلك الزهورَ/
كان ثمة في ذلك العصر
صخورٌ متفحِّمةٌ
وزهيراتٌ وحشيةٌ،

لا بذورَ
ولا وريقاتٌ لها،
وليسَ ثمة
مَن يقيمُ هناك.

اللعب بالنار

هل أنتَ
مَن انحرفَ
بالألعاب الناريّة
في السماء
لتتشظى وسط دُخنةٍ
وعَرَقٍ
ولم تتوهج كفايةً...

أنا لا أعرفُ
أكثر منكَ/
أنتَ الذي يشمُّ الدخانَ
حتى لو كان في شَعرهِ!

نداء قرع الجرس

لم يكن نابليونَ
ولا بايرون*
ولا الله/
رفض كل شيءٍ،
أحبَّ أنْ يكون فريدًا،
وشاذًا،
حتى دفع حياته ثمنًا
لتلك القفزةِ
ولتلكم الشحناء...
في الليلِ
رغبَ أن يكونَ
أعظمَ شأنًا
من تومي فار...
لم يخبره أحدٌ

* بايرون: شاعر بريطاني، تطوع كمحارب في الحرب الأهلية اليونانية، فقتل هناك أثناء الحرب (المترجم).

أن تلكَ هي أحشاؤه

وتلك هي أحابيلُهُ

وتلك هي قدمُه الفاعلة

المقطوعة من الأعلى...

يا للدهشة

يا للروعِ،

لقد زحفَ

حتى وقفَ

حذاء السلّمِ عاريًا

يحاربُ الهواء.

المكتب

كان هادئًا،
إني حقًا أعرفه
منذ أكثر من ثلاثين عامًا،
يعمل بالنقد،
له زوجة فاتنة
وأولادٌ جميلون
ويعرفُ أيضًا
شكلَ البعوضِ الذي يمتصّه،
كان دائمًا
وراء مكتبهِ،
يداه متمسّكتانِ
بمساندِ الكرسي،

قوامُه معتدلٌ

ومتَّسقٌ إلى الأمام،
يرمي نظرة
خارِج النافذة،
ينظرُ إلى الله
ويجدِّفُ

بوجهِه القبيح...
سيرى
ببساطة واضحة
خلف النافذة
أحدَ الشحاذينَ
يسألُ العطايا.

موعد

سيدتي
الموعد ينبغي أنْ يكون اليومَ
وليس غدًا،
فالغد يعني لي
بعد ثلاثينَ عامًا،
كمن يمزجُ
جوهرَ الوقت ليقطرَه/
وبذا
كم من صلوات
عشيّة العيد
سنوفي للمخَلِّص،

وكم من المثيرِ
أنْ نكونَ غافرينَ

ومُصْفِحينَ،

خلال تلك الأعوام،

لعلنا نحلّقُ

في الآخر،

وما علينا

إلا أنْ نتخيَّلَ المزيدَ،

حتى لو كنّا

متزعزعينَ

قلقينَ،

فالحياةُ في الآخر

هي كيف سنغدو

وكيف سنكون؟

الحفلة

التقى بالجميع...

توم

ديك

وهاري،

وتمنّى للفتاة

الأشياء التي ترغبُ في تغيِّيرها،

إنها حفلة

وليست مجلس عزاء،

صفقةٌ تبدو ضروريةً،

لرؤية الكلِّ

وهم يشربون...

أحدهم سَكِرَ،

كان الأصدقاءُ

مستغرقينَ في الضحك،

حتى بكوا،

فكّروا فيه

وهم مندهشون منه،

لكنَّ الحضورَ

لم يلقَ ذلك الهوى،

في تلك الصالةِ التي بدأتْ تطفو...

فكّرَ أنْ يذهبَ بعيدًا،

غير أنهم

اجترحوا له الأعذارَ،

كانوا رؤوفينَ
والحفلُ لم يوشكْ
على النهايةِ بعدُ،
هفا لكي يحتسي قدحًا آخرَ،
ويغادرَ بعدها
إلى منزلهِ
في الثانية عشرة،
متمايلًا
مترنّحًا بساقيهِ،

كان البابُ

حين غادر

ينزُّ بالماءِ،

لكأنَّ رعدًا من الحصى

قد صعَقَه،

لاح ضجيجٌ ما،

في الأفق،

ليس ثمة حركةٌ للجيران،

فهم كانوا نائمينَ،

الهواءُ بدا

خانقًا،

وهو كان تعِبًا،

ثمِلًا،

حين حمل جسدَه

واستلقى

على ما تبقَّى

من جلدٍ وعظامْ.

الراؤون

ارفعْ بصركَ
سترى ثلاثةً
من الملائكة الرائينَ
في أعالي الوادي،
يتحرّكونَ معًا،
يدورونَ
ويرتفعون صوب
اتجاهٍ غير مرئي...
أهذي هي رقصة الهوى
أم هي مبارزةٌ؟

عشّهم في ذرى

شجرةِ البلوطِ الطويلةِ،

في قلبِ الغابةِ القديمةِ،

حيث الأماليدُ المتقصّفة،

هناك يطعمونَ صغيرَهم

وليس ثمة من أحدٍ

بين تلك الأميال.

الأثر

كان من المؤمَّل

أنْ يأخذوه بعيدًا،

ولكنّهم تركوه هنا،

خلال اليوم

يدخِّنُ تبغًا قديمًا،

يلتقيكَ عند البابِ

حيث السكنُ غير الدافئ،

ثمة طعامٌ من القمحِ

على الطاولة،

كان ذلك

تسوُّقُه الأخير،

متحسِّسًا

ومتفقِّدًا الفواتيرَ،

المزهريةُ الفخاريّةُ

جافةٌ

معلقةً كيفما اتفق،

بينما العجوزُ الناجي

هو هنا

مُغبَرٌ

وملطَّخٌ ومبتل،

فيهِ حروقٌ

جرّاء النارِ والماء...

ثمة بكاءٌ حارقٌ

أتلفَ الوثيقة.

باليه الحب

قاعةُ الأوبرا
وصلت الذروة
حين أضيئت الصالة،
كانت مكتظةً
والكلُّ يُغمْغِمُ
ويندفعُ بقوَّة
لحظة الإستعراض،
ثمة شيءٌ يدورُ
مثل قدحٍ
في الهواء،

هواءُ الإنتصار،

فِي الظلِّ هناك...

جوار محيطِ الرؤوس القلقة،

تُرى سيدةٌ

وعبر موسيقاها،

وهي فِي مكانها،

تُرقِّصُ طفلها،

تهدهدُهُ

لكيما ينام.

الطريق البطيء

كان الطريق البطيءُ
المؤدّي الى الغابةِ،
يُخشخشُ
ويصرُّ مع العمرِ،
وهناكَ في المنحدر،
أجَمَةٌ من نباتِ الوزّال،
حيث الضوءُ

يسقطُ على طولِ
ذاكَ الخطّ الأخضرِ،
حيث الماءُ المتدفِّقُ
وقتَ عصفِ نوفمبر،
يمتدُّ المنتورُ
البريُّ الأحمرُ،
ولسوف يتأخّرُ
في الإزهار.

هِلفورت

هذا ضبابٌ
لا يُشتهى،
جافٌّ
في اكتوبر قاحل/
من الهضباتِ
حتى الشرقِ،
تبْيَضُّ الحقولُ،
ثم تكتسي بالوحلِ
بوّاباتُ هذه الطرق...
....
....

أحَدٌ ما
تخوزقَ فوق قطعةِ أرضٍ
متخثّرة بالدم،
عند اسوارٍ مهجورةٍ،
إذْ نذورٌ
من النحاسِ والذهبِ
ترتعشُ من المُعَلّقينَ
الى الأسفل...
....
....

شيخٌ ما
يتكئُ على الحافّةِ،
حيث شجرةُ الزعرورِ الشائكة،
بينما شجرةُ البلوطِ
أوراقُها تتطايرُ
في الرّيح.

جذر الكينونة

ليس ثمة من تلاشٍ

في جذر الكينونة....

قلبُ الغابةِ

قد نجا،

إنه يتحدى

رعودَ الحياة،

أو تلك الكائناتِ

سهلةَ المِكسَر،

حيث تقهقرَ

مركزُ المنكفئينَ....

العالمُ

ليس عادلًا

لكن،

وسط الحِصنِ المنخفضِ،

راح سنجابُ المسرّاتِ

يبني محميَّتَهُ

في الليل.

السيرة الذاتية

– ولد في العراق 1950

بدأ مشواره الثقافي في مطلع السبعينيات من القرن المنصرم.

– نشر أشعاره في الصحف والمجلات العراقية والعربية والعالمية.

– نشر العديد من المقالات النقدية في ميادين الشعر والقصة والرواية والبحوث الأدبية والفكرية والفلسفية.

– عمل الشاعر صحافيًا وإعلاميًا في كل من بغداد، باريس، بيروت، دمشق، نيقوسيا، براغ، لندن، وعمل مراسلًا لصحف ومجلات عربية.

– ترجمتْ نماذج من أشعاره الى الإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، والبولونية، والهولندية، والفارسية والكردية وغيرها.

صدر له في الشعر:

1) قصائد أليفة، وزارة الثقافة، بغداد، 1978

2) أقمار منزلية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1980

3) شموس مختلفة، دار ابن رشد، بيروت، 1981

4) نوافذنا نوافذهم، مؤسسة فكر، بيروت، 1982

5) أوراق لنشيد ضائع، دار العودة، بيروت، 1986

6) طيف من خزف، دار صحارى، بودابست، 1990

7) صباح الخير بريطانيا، دار النهار، بيروت، 1994

8) إعادة نظر، وزارة الثقافة، دمشق، 1995

9) مشاهد صامتة، دار المدى، دمشق، 1996

10) ورد الحنّاء، دار المسار، بيروت، 1999

11) غزل عربي، دار رياض الريّس، بيروت، 2001

12) مئة قصيدة وقصيدة، دار الأنوار، بيروت، 2002

13) نزهة الكريستال، مختارات بالفرنسية، دار لارماتان، باريس، 2003

14) الأعمال الشعرية، مجلدان، المؤسسة العربية، بيروت، عمّان، 2005

15) على الطريق، دار التكوين، دمشق، 2005

16) حميميّات، دار نينوى، دمشق، 2007

17) هدأة الهدهد، وزارة الثقافة، دمشق، 2007

18) البحث عن الزمن الحاضر، ديوان السيرة الذاتية، دار كنعان، دمشق، 2009

19) التطريز بالكرز، دار النهضة العربية، بيروت، 2010

20) كتاب الاشياء، دار بلوز مري، قطر، لندن، 2015

21) شال شامي، دار المتوسط، ميلانو، 2016

22) كم كنت غريبًا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2017

23) إيرادات المخيّلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2017

24) خمول المخمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2017

25) تمتمات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2017

26) التركات الصغيرة، مجلة أدب ونقد، القاهرة، 2018

27) الرجل الرومانسي، مؤسسة أروقة للدراسات والنشر، القاهرة، 2019

28) نقد الحب، مؤسسة أروقة للدراسات والنشر، القاهرة، 2020

في الرواية صدر له:

1) بيت تحت السحاب، دار ميريم، بيروت، 1992

2) أشهر من شهريار، دار ثقافة، ابو ظبي، 2012

3) البرج الأحمر، دار المدى، بيروت، 2016

في الترجمة صدر له:

1) ستارة الحب الخزية، ماتسو باشو، دار نينوى، دمشق، 2009

2) طقوس في الليل، يانيس ريتسوس، دار لارسا، بيروت، 2011

3) مئة قصيدة من الشعر الصيني، دار المدى، بيروت، 2018

4) أنطولوجيا شعر الهايكو الياباني، دار المدى، 2018

5) الشاعرة الرومانية نينا كسيان، مؤسسة أروقة، القاهرة، 2019

6) الشاعر الإنكليزي أدريان ميتشيل، مؤسسة أروقة، القاهرة، 2019

7) قدح حليب دافئ، قصائد مختارة، يانيس ريتسوس، دار المدى، 2019

8) الشاعر الويلزي دانييل هوز، مؤسسة أروقة، القاهرة، 2020

9) الشاعر البولوني تادئوش روزيفيتش، مؤسسة أروقة، القاهرة، 2020

في أدب الرحلة صدر له:

1) رحلة ابن جبير، مؤسسة كتاب في جريدة، بيروت وعواصم عربية، 2011

2) مدن مرئية، دار لارسا، بيروت، 2010

3) في المختارات الأدبية صدر له:

4) شعراء الطليعة في العراق، دار الهمداني، عدن، 1984

5) الشعر العراقي في الربع الأخير من القرن العشرين، مؤسسة كتاب في جريدة، بيروت وعواصم عربية، 2007

6) مقامات بديع الزمان الهمداني، مؤسسة كتاب في جريدة، بيروت وعواصم عربية، 2003

في السيرة الذاتية صدر له:

1) بغداد السبعينات الشعر والمقاهي والحانات، دار المدى، بيروت، 2014

2) سيصدر له:

3) المجلد الثالث، الأعمال الشعرية.

4) المجلد الرابع، الأعمال الشعرية.

5) النأي باتجاه الموانئ، مختارات من الشعر العالمي.

6) الجلوس بين سلّتين، أدب رحلة.

7) المنتقى، مختارات شعرية.

دراسات كتبتْ عنه:

1) المخيّلة الحسيّة، دراسة سوسيولوجية، أنطولوجية في شعر هاشم شفيق للناقد ياسين النصير، دار أور، العراق، 2018

2) الأسلوبية التطبيقية في شعر هاشم شفيق، رسالة ماجستير، زهراء رعد، جامعة بابل العراق، 2919

الفهرست